

---

## الباب الثاني

---

### بغداد بيد الإيلخانيين

---

### دولة الأيلخانيين أو الجلائريين

آبقا أو آق بغابن إيلك خان أو أيلخان أو أيلكان بن جلائر - كان أمير الأمراء في عهد كيخاتو خان وقتل في الفتن التي حدثت عند جلوس بايدو على سرير المملكة وتزوج ابنه الأمين حسين من ابنة أرغون وأصبح في عهد أبي سعيد شيخاً للرحل المبثوثين في خراسان ورزق ولداً هو هذا الشيخ حسن الأيلخاني الذي تملك على حكومة بلاد «الروم آسية الصغرى» في عهد أبي سعيد وقد رأيت ما وقع له من الحوادث قبل أن يستقل بملك. بغداد في سنة ٧٤٠هـ - (١٣٣٩م - ١٣٤٠م) وكان قد تزوج بدلشاد خاتون) ابنه دمشق خواجا زوجة أبي سعيد الثانية التي كانت قد رزقت منه سلطان أويس الذي خلفه بعده.

وقد سبقنا فقلنا أن الأمير الشيخ حسن الأيلخاني غلب في المعركة التي نشبت بينه وبين حسن الجوباني فلما رأى ما صار إليه من الحال عاد ادراجه إلى بغداد وكان فيها ابنه السلطان أويس بمنزلة حاكم ونادى فيها بالاستقلال وملك سبع عشرة سنة وشيد مباني فخيمة في النجف وتوفى في بغداد في سنة ٧٥٧هـ (١٣٥٦م) ودفن في النجف بجوار مدفن علي بن أبي طالب، وقال بعض المؤرخين بل أن حسن الكبير الأيلخاني ملك عشرين سنة فلا شك أنهم حسبوا في هذه المدة السنوات التي غاب فيها عن بغداد قبل أن يجهر بالاستقلال.

وملك بغداد بعد حسن الكبير ابنه السلطان أويس وذلك في شهر رجب سنة ٧٥٧هـ (أي تموز سنة ١٣٥٦م) وفي شهر نيسان من السنة التالية من سلطنة السلطان أويس حدث طغيان دجلة فغرق وافنى شيئاً كثيراً من مال ورجال وقد نظم خندميربيتين في هذا المعنى وهما.

يسال هفصدد وبنجاه وهفت كشت خراب

باب شهر معظم كه خاك بر سرآب

دريغ روضة بغداد آن بهشت آباد

كه كرده است خرابش سهر خانه خراب

أى فى سنة ٧٥٧هـ (١٣٥٧م) أخرب الماء البلدة المعظمة (بغداد) محق الله ذلك الماء. وآأسفاه على بغداد تلك الروضة الغناء التى كانت تشبه الجنة فقد اخربتھا السماء سماء عساها تكون بدون سماك - (ترجمة بتصرف).

وفى ربيع سنة ٧٥٩هـ (١٣٥٨) زحف أويس بجيش جرار على اخيجوق بجوار تبريز وكان اخيجوق قد تملك على آذربيجان غير أن السلطان أويس لم ينجح إلا بعض النجاح فى زحفه لأن أحد قواده خانه حبا ببلهنية العيش فالترم أن يعود إلى بغداد وقد ترك آذربيجان لصاحبها الجديد، وفى ذلك الحين خرج عليه فى بغداد مولاه الخواجا مرجان وكان سيده أويس قد أبقاه فيها بمنزلة حاكم عند زحفه على العدو، وإذا بمرجان قصد الإستقلال بحكومة بغداد وتملكها، ولاسيما لأن بغداد كانت محاطة بالمياه من كل جانب، فأصبحت كالجزيرة المنيعة التى لا ترام بيد أن السلطان أويس دخل إليها، وكان معه أربعمائة سفينة مشحونة بالمقاتلة والذخائر، وما ابطأ أن نصره الله على مولاه الخائن وقهره وفرق شمله ومزق حزيه ثم عفا عنه عفو الكرام، إجابة لطلب أهل بغداد والخاصهم عليه إلا أنه نزع منه الحكم على المدينة ولم تعد إليه إلا عند وفاة سلطان شاه الخارن التى وقعت فى سنة ٧٦٩هـ (الموافقة لسنة ١٣٦٧م - ١٣٦٨م).

واراد الخواجا مرجان التكفير عن خيانتة والتقرب من عزته تعالى بالمبرات والحسنات فأنشأ الأوقاف الطائله الجديرة بالملوك وأقسام المدرسة المعروفة باسمه وفى وسط تلك المدرسة بنى مسجداً غير أنه لم يبق من تلك الأبنية فى يومنا هذا إلا المسجد بل بعضه وحسبك دليلاً على ما كان عليه من حسن البناء مدخله فإن عواميده الملتفه والنقوش المختلفة والنقوش التى تزينه بنبتك عما كان فى سابق الزمن وعلى أى طرز من كمال البناء وضع.

## استطرد في جامع مرجان وأوقافه المحبوسة على مدرسته

قال السيد الأستاذ والسند الملاذ الشيخ محمود شكرى أفندى الألوسى من له في كل علم من علوم العرب امتن القسى ما هذا نصه بل فسه .

هذا مسجد رصين البناء راسخ القواعد مشيد الأرجاء مبنى بالحجارة المهندسة ذو طبقتين سفلى وعليا فيه مصلى واسع وحجر فى الطبقة السفلى والعليا وقد جعله بانيه مدرسة حاكى بها المدرسة النظامية وجعل الحجر مساكن لطلبة العلم ومحال لإقامتهم فيها وأجرى عليهم الجرايات الوافرة ورتب لهم المدرسين من كل مذهب وأوقف الأوقاف الكثيره وما أوقفه من العقارات مذكور على جدران هذه المدرسة وداخل المصلى وهذا نص ما كتب على جدر المصلى والمحراب فى ايوان .

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى وفق المطيعين لعمارة ابنيه بيوت العبادات والههم المخلصين اشادة أعمدة دور الطاعات ورفع ذكر الولاية بتأسيس قواعد معالم المكرمات ودل أرباب السعادات على سلوك سبل الخيرات ومنح المحسنين بتشريف أن الحسنات يذهبن السيئات وحباهم بمآل «أن المتصدقين والمتصدقات» والصلاة والسلام على نبي الرحمة محمد المصطفى خير الأنام وأصحابه مصاييح الدجى وبدور الظلام .

أما بعد فيقول المفتقر إلى عفو الملك المنان مرجان بن عبد الله بن عبد الرحمن بدل الله سيئاته حسنات أنى هاجرت مدة فى الأرض وجاهدت سنين فى الطول والعرض ذا شمال ويمين متورطاً فى مخاوف البر والبحر متوارداً فى متالف البرد والحر حتى ادانى الجد الصاعد وادنانى التوفيق المساعد فعلمت أن الدنيا دار الفرار والأخرة هى دار القرار وابقنت أن أولى ما انفقت فيه الأموال وأحرى ما توجهت إليه همم الرجال ما كان وسيلةً إلى أبواب رحمته محط الرحال وذخيرة ليوم المحاسبة والسؤال وقد قال النبى عليه الصلوة والسلام «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا عن ثلاث . صدقة جارية وعلم يتفجع به وولد صالح يدعوا له»<sup>(١)</sup>

(١) متفق عليه .

والصدقة الجارية هي الوقف فشمرت عن نية صادقة صافية وسريرة للخير وافية. وشرعت في عمارة هذه المدرسة المسماة بالمرجانية وتوابعها المتصل بعضها ببعض في زمن المخدم الأعظم الدارج إلى جوار الله ورحماته المستريح على أعلى غرفات جناته حسين ثوبان أنار الله برهانه وتمت في دولة نور حدقته ونور حديقته. المخدم الأعظم الأعدل رافع رايات السلطنة على الأفلاك ناصر غايات المملكة إلى السماك صاحب ذيل الرحمة على الإعراب والأثراك. محيي مراسم الملة المصطفوية مزين شعار الدولة الجنكيزية حاجيج شاه أويس خلد الله ملكه ووقف على الفقهاء وطلاب العلم والتفسير والحديث والفقه على مذهبي الإمام الأعظم محمد بن إدريس الشافعي المطلبى والإمام الأقدم أبى حنيفة نعمان بن ثابت الكوفى رضى الله عنهما.

ووقف على مصالحها كما شرح فى الوقفية الموقعة بتوقيع قضاة الإسلام الموشحة بشهادة الأمراء والوزراء العظام بالريحانيين أربعة وأربعين دكاناً وأنتى عشرة عصاره هى السوق الجديد المجاور للمدرسة والصاغة وتسعة عشر دكاناً أخرى وثلاثة خانات ونصف خان أحدها إنشاء الواقف ومواضع بالبدرية وبالأمشاطين ثلاثة دكاكين وبالمشرفة أربعة عشر دكاناً وخاناً جديداً من إنشاء الواقف تقبل الله منه صالح الأعمال وبالحلبة ثلاثة عشر دكاناً وعصاره وخانا فيه اثنتان وخمسون حجرة وفى الجانب الغربى من محلة القصر داراً ومداراً وخانا يعرف بالجوارى وفى الخليلات خان الزاوية ومداراً هى الآن من حقوق الخان المذكور وبالحريم دكان الكاغد. وبنهر عيسى ناحية عرقوف ونصف القائمة وتل دحيم وبساتين بالمخرية وبساتين بقرية البرك والجوبة ومراح الجاموس بالصراط مزرعة وبالقطول ناحية زادمان ويجلولى من خاناباد النصف ومن بساتين يعقوبا وببهرز النصف وبخانقين دورى ونصف دورى وارحية الماء وفى غمايا ودولتآباد وبساتين فى البندتيجين وبستاناً جديدة ببهرز إنشاء الواقف ونهر خرناباد وسائر أراضيها ومزارعها المدعوة هرارثة وذلك بين جبل حميرين وخانقين.

وفقاً صحيحاً شرعياً مؤيداً مخلداً محرماً بجميع ما حرم الله مكة والبيت

الحرام والركن والمقام لازال ذلك كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين لا يندرس بمرور الأعصار ولا ينطمس بمرور الأدوار لا يؤجر من متغلب ومتعزز وجندى ومن يخاف غائته بل يؤجر من رجل مسلم معامل بتمكين الوالى على هذا الوقف من مرافقته بين يدى الحكام وقضاة الإسلام ما يتوجه عليه من ضمان الوقف ومن فعل ذلك فتلك الإجازة باطلة وتصرفه حرام ووصيتى نسخت إلى حكام كل زمان وعصر وأوان وإلى قاضى القضاة ببغداد أن يساعد الوالى على هذا الوقف واستخلاص الحقوق الواجبة لوقف هذه المدرسة وأن ينظروا إليهم بنظر الرحمة والرافة فإن الحاكم العادل فى رعيته كالوالد الشفيق على ولده الأوان، كل من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فعليه ورزها ووزر من يعمل بها إلى يوم القيامة، وأن لا يتعرضوا بمتولى هذا الوقف ومستوفيه ومشرقه من استرقاع حساب أو نصب أو ترتيب ولا يداخلوهم فى ذلك بشبهة من الشبه ولا يعقد بهذه المدرسة ديواناً لفصل القضايا الشرعية أو ينارعوا فيه فإن هذا الموطن موطن العلماء ومنزل الصلحاء طوبى ثم طوبى لم استجلب ترحماً لنفسه وويل ثم ويل لمن صاحبه اللعنة فى رمة فبمثل ما تعاملون فى حياتكم تعاملون فى مخالفتكم بعد مما تمكم فإن المكافأة من الطبيعة واجبة كما تدين تدان وكما تزرع تحصد فإن الدنيا غدره وأن طالت مدنها فما طالت وأن نال صاحبها فما نال.

ومن غير شروط هذه الأوقاف أو تصرف فيها خلاف ما شرطت فى الوقفية فهو ظالم عند الله إلا لعنة الله على الظالمين وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ومآواه جهنم وبئس المصير والحق بالاخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً وما ذلك على الله بعزيز.

وشروط الواقف تقبل الله منه الحسنات ولا وأخذه بما كسبت يده من السيئات أن لا يسلم من الأراضى الموقوفة من النواحي والبساتين والبسوط بالقرار الشمسى شيئاً أصلاً ولا من المسقفات من الدكاكين والخانات والطواحين بالعرضة أبداً ومن فعل ذلك فحكمه باطل وشرطه مفسوخ وتصرف من تصرف فيها بهذه

الشبهة حرام سحت وفاعلة ماثوم ملوم الخالق والخلق فمن بدله بعدما سمعه فإنما  
أئمة على الذين يدلون أن الله سميع عليم وكتب في شهور سنة ثمان وخمسين  
وسبعمائة والحمد لله وحده والصلوة والسلام على نبي الرحمة وشفيع الأمة  
وكاشف الغمة النبي الأُمى العربي الهاشمي المكي المدني سيد المرسلين ورسول  
رب العالمين وخاتم النبيين وعلى آله وصحبه الطاهرين الكرام المتحيين البررة  
وسلم تسليماً كثيراً.

### ما كتب في الحجر على ظاهر جدار المصلى في هذه المدرسة

بسم الله الرحمن الرحيم . في بيوت أذن الله إن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح  
له بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله إنشاء المفتقر لمغفرة  
الملك المنان مرجان بن عبد الله بن عبد الرحمن السلطاني الأوجلاتي تقبل الله  
منه في الدارين طاعته وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين  
الطاهرين وسلم .

### ما كتب في الحجر أيضاً قرب البئر في الجهة الجنوبية من المدرسة

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله حق حمده والصلوة والسلام على نبي  
الهدى محمد وآله وصحبه من بعده - يقول الواقف مرجان بن عبد الله بن عبد  
الرحمن السلطاني الأوجلاتي من غير شروط أوقافي أو تصرف فيها خلاف ما  
شرطت لعن في الدنيا والآخرة والحق بالآخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في  
الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم  
ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزناً وشرط أن لا يؤجر ما هو  
وقف من متعزز وجندى ومن يخاف عائلته وأن لا يؤجر أكثر من سنة واحدة ولا  
يعقد عقد أجارة قبل انقضاء العقد الأول ولا يوفّر من الموقوفات شيء بوجه  
المرسومات بعض المرتزقة بها مما ذكر فهو ظالم عند الله وصلى الله على سيدنا  
محمد النبي الأُمى وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه وسلم وذلك في شهور  
سنة ثمان وسبعين وخمسائة كتبه أضعف عباد الله تعالى أحمد شاه النقاش  
التبريزي أحسن الله إليه في الدنيا والآخرة .

ما كتب على باب المدرسة من خارج (أعنى على باب الجامع على ما هو اليوم مشهور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ . هذه مدرسة رصينة البناء مشيدة الأرجاء انشأها المفتقر إلى عفو الملك المنان . مرجان بن عبد الله بن عبد الرحمن ابتداء بها فى أيام دولة المخدم المكرم والنوبان الأعظم السلطان حسين خان أنار الله برهانه وكملت فى أيام اىالة ولده النوبان الأعظم سر العدالة فى العالم سلطان السلاطين . غاية الدنيا والدين ومغيث الإسلام والمسلمين الشيخ أويس لازال هذا الملك الأعظم ملجاء وملأذاً للامم - على أن يدرس فيها مذهب الأمامين الهمامين والمجتهدين الأعظمين الإمام أبى حنيفة النعمان والإمام محمد بن إدريس الشافعى عليهما الرحمة والرضوان وذلك فى سنة ثمان وخمسين وسبعمائة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين بقلم المفتقر إليه تعالى أحمد شاه النقاش التبريزى عفا الله عنه تقصيره .

**ومن الكتابات الحجرية ما كتب على باب الخان المعروف**

**بخان الأورتمه (أى المفطى بالسقف الحجرى)**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد النبى وآله وصحبه أجمعين . هذه الخان من إنشاء ذى العمل المبرور والسعى المشكور مرجان بن عبد الله بن عبد الرحمن السلطاني الأوجلتى وقفها على المدرسة المرجانية ودار الشفاء بباب الغربية والنصف للقائمة وتل دحيم ومزرعة بالصراة وبساتين بالمخرية وبساتين بقرية البزل والرادماز وخدم اباد ورباط جلولى المعروف بقزل رباط ورزين حوى ونصف دورى وبساتين بيعقوبا وبوهرز وبانبنديجين وخان ودكاكين بالحلبة وأربع خانات ودكاكين بالجوهريين وخان فى الجانب الغربى ودكان بالحريم كما هو محدود ومشروح فى الوقفية وفقاً صحيحاً شرعياً تقبل الله منه الطاعات فى الدارين وكان الفراغ منه سنة ستين وسبعمائة

(١) سورة فاطر الآية ٢٨ .

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامى العربي الصادق وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه وسلم كتبه الفقير إلى رحمة الله أحمد شاه النقاش المعروف باليزدى غفر الله ذنوبه.

### ما صارت إليه هذه الأوقاف

أعلم أن كثيراً مما ذكر في الوقفية من الأوقاف قد اندرس ولم يبق له ذكر ومنه ما امتدت إليه يد الغضب. فدار الشفاء أتخذها أحد اليهود خانة للبن وهي الشهيرة اليوم بقهوة المصبغة وباب الغربية هي شريعة المصبغة وكثير من الخوانيت المكتوب عليها وقف مدرسة مرجان ودار الشفاء تملكها الناس ومنها ما هو وقف على كنيسة والحاصل أن ما بقى من الأوقاف أقل قليل بالنسبة لما اندرس.

### ما جرى على هذه المدرسة من مستحدث العمارة

لم تزل العمارة الأولى قائمة على ساقها لرصانه أساسها وتمكين قواعدها حتى كأنها جبل منحوت إلا ما كان من الإصلاح في أيام حكومة سليمان باشا الكبير إلى بغداد وذلك أنه حكم فيها من سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف من الهجرة إلى سنة سبع عشرة بعد المائتين وآلاف (من سنة ١٧٧٩م - ١٨٠٢م) وقد أمر رحمة الله تعالى أن يوسع المصلى بهدم بعض الحجر المبنية وإدخالها فيه فلما كملت العمارة حسبما أمر أرخ ذلك بعض أدباء عصره هذه الآيات.

وفيض منهم من يقام به الهدى  
حديث أتى من سيد الرسل مسندا  
وزير محار جرس الضلالة والردى  
وكم جامع أحى وجدد مسجدا  
تداركه فوراً فاضحى مشيدا  
نوى عملاً لله صرفاً مجردا  
«سليمان أضحى عادلاً بل مجددا

تبارك من أنشا الأيام واوجدا  
ففى كل قرن يسدو منه مجددا  
فكان بهذا القرن حقاً مجدداً  
فاحى ربوع العلم بعد دروسها  
ومذبان فى هذا المكان تخلخل  
هنيئاً له حاز الثواب لأنه  
وفيه روى الرواى الحديث مؤرخا

ولما توفى مرجان فى أواخر سنة ٧٧٥هـ (بدء سنة ١٣٧٤) دفن فى المشهد الذى أعده لنفسه فى هذه المدرسة وعليه قبة مرتفعة وقبره إلى اليوم يزار ولم يندرس لأنه كان مشهوراً بالتقوى والدين والصدقات والقربات. ولما توفى الخوaja مرجان قام مقامه الخوaja سرور.

وفى سنة ٧٧٦هـ (١٣٧٤م - ١٣٧٥م) غرقت بغداد غرقاً لم يسبقه مثله سابق ولاسيما لأن الأسس وكثيراً من الأبنية كانت قد تضعضعت وتخلخلت قبل سبع سنوات فلما طغت دجلة هذه المرة وزعزعت المباني فالقتها على الأرض وقتلت خلقاً كثيراً قدره أربعون ألف نسمة وحيثما كانت الأبنية مكيئة انفتحت عيون الآبار والبوايع وأغرقت أهل البيت ومن لم يتوفاه الله بالفرق توفاه بالأمراض المتولدة من الرطوبة والعفونة وسوء الهواء فكانت الطامة عامة. فلما رأى ذلك الخوaja سرور حاكم المدينة أخذ الغم منه كل ماخذ حتى وقع مريضاً ومات مسلماً أزمة الحكم إلى الأمير وجيه الدين ابن الأمير زكريا الوزير.

وفى ٢ جمادى الآخرة من تلك السنة (أى سنة ٧٧٦هـ - ٨ تشرين الثانى ١٣٧٤م) توفى السلطان أويس وكان رجلاً عادلاً محباً للعلم والعلماء حتى مدحه أغلب شعراء عصره وكتابه مثل سلمان الساوجى وشرف الدين الرامى صاحب أنيس الأشواق والخوaja محمد عصار صاحب الرواية الخيالية الشعرية «مهر ومشتري» وعبيد زاكانى صاحب اللطائف وغيرهم من الشعراء بل السلطان أويس نفسه نظم الشعر وقد أورد لنا من شعره رضا على خان صاحب كتاب «مجمع الفصحاء» ودامت سلطته ١٩ سنة وخلفه على العرش ابنه حسين إلا أن الخلع لم يشبه السلف فإن هذا الأمير كان مؤلماً باللعب وأنواع الملاهى ولم يهتم أبداً بالمملكة وشؤونها فرجعت القهقرى فى عهده.

وفى سنة ٧٧٧هـ (١٣٧٥م) ظهرت دولة قره قوينلى فى الموصل وسوف نراها عن قريب فى بغداد بعد سنة.

وفى سنة ٧٧٨هـ (١٣٧٦م) قام باعبآء الملك الشاه منصور بن عم بهرام

صاحب الموصل ونسب العامة هذا الانقلاب إلى الكسوف والخسوف اللذين وقعا في تلك السنة إذ خسف القمر في شعبان خسوفاً كلياً وفي اليوم ٢٨ منه أيضاً انكسفت الشمس كسوفاً تاماً غريباً وظهرت النجوم صلب النهار وخر كوكب من الغرب وظهر له ضوء مثل البدر وسمع صوت هائل وهو المعروف عند العلماء بالرجم فهلع لهذه الأحداث الجوية قلوب أهل بغداد وكادوا يموتون خوفاً ولا تحدث عن الهرج والمرج اللذين وقعا على أثر هذه الوقائع. ولم تؤثر هذه الحوادث على الناس فقط بل شملت الحيوانات أنفسها حتى خيل للناس أن قد حانت ساعة القيامة فعلاً النحيب وكثر العويل واستغاث أصحاب كل دين بأنبيائه ورسله وأئتمته وقديسيه وكان ذلك اليوم من أهول الأيام شدة على الناس على اختلاف طبقاتهم ونحلهم.

على أن هذه السلطة لم تكن إلا أسميه لا حقيقة واشبهت تلك الحوادث الجوية التي ما كادت تظهر للعيان الإوغابت عن الأبصار لأن الشاه منصور لم يتملك على بغداد إلا في تغيب إلامير حسين بينما أن جماعة من قواده انتهزوا فرصة سيره إلى تبريز لينقطعوا عنه ويستبدوا بالحكم. على أن الأمير حسين يقطع حين الأمل من العود إلى العرش إذ اعتمد على عادل آغا الذي فتح العراق العجمي ليتوصل إلى قتل القواد الخوارج والتخلص منهم ففعل واستراح منهم. وفي تلك الأثناء اغتصب بعض الأكابر من أهل القوة والنفوذ واجتمعوا يداً واحدة في دسيئة دسها الشيخ على ابن السلطان أويس وقتلوا الأمير إسماعيل حاكم بغداد بينما كان ذاهباً إلى الجامع ليصلى (سنة ٧٨٠هـ - ١٣٧٨م - ١٣٧٩)

ثم نادوا بهذا الشيخ ملكاً على المدينة وعلى الولاية كلها.

أما السلطان حسين فترث هنية ثم أقر للشيخ بالسلطنة على بغداد وولايتها. لكن لما رأى امتداد جناح سطوته ونفوذه يوماً فيوماً حاول أن يقصه أو يقلمه فرفع لواء العصيان والخروج على الشيخ، ثم رحف على العاصمة يسانده في هذا الأمر ويكاتفه فيه عادل آغا (في خريف سنة ٧٨٢هـ - أو آخر سنة ١٣٨٠م) فلما رأى الشيخ على نفسه على قاب قوسين من الخطر أو يكاد لم يتمكن من الوقوف

بوجه مناوئيه ففر مولياً إلى دزفول وششتر . إلا أن البغداديين رأوا في الأمير حسين من أعمال الظلم والأستبداد والضرب على الأيدى والجنون المتلون مادفعهم إلى طلب الشيخ على فاحتالوا على ذلك الطاغية ومازالوا يقتلون منه في الذروة والغارب حتى جندلوه عن العرش في الشتاء التالي لذلك الخريف وأقاموا عوضاً عنه الشيخ علياً وأرادوا قتل ذلك الأمير العسوف العضوض فافلت ولا أفلات جرادة العيار وولى هارباً إلى تبريز متخذاً الليل جملاً . ومامضى شئ من الزمن إلا وخرج عليه أخوه أحمد وفاجأه في قسبة أذربيجان وقتله في السنة الثامنة من ملكه (أى سنة ٧٨٤هـ - ١٣٨٢م - ١٣٨٣م).

وفى تلك السنوات وقع فى ديار الجزيرة والعراق من الأحداث والبلايا ما زاد فى العين بلةً وذلك أن تيمور لك أخذ يسعى سعى الأفعون فى الشر منذ سنة ٧٦٠هـ (- ١٣٥٩م) ومازال يفتح البلاد ويقتل العباد حتى دخل بلاد خراسان وقتل فيها ستمائة ألف من رجال الإسلام دع عنك ما قتل من الأطفال والشيوخ العجزة وما سبى من النساء والبنات وفى سنة ٧٨٠هـ جاء إلى جوار بغداد فنهب القرى وسلب أهلها بصورة هائلة شنيعة ثم عاد ادراجه إلى سمرقند ومن هناك ذهب غازياً بلاد الكرج سنة ٧٨١هـ ثم عطف عنان جواده إلى نواحى الموصل فحمل على أهلها حملة شعراء شنعاء فاطاعوه ومالبت أن غدر بهم غدرأ جديراً باخس اللثام فقتل جمأ غفيراً منهم وهدم قلعة الموصل حتى ساواها بالأرض ثم لدغة زنبور فقال: ما فعل بى هذا لا حاميتها ووليها «نبى الله يونس» فعدل عن الأمعان فى القتل والفتك والتخريب .

وكانت نتيجة هذه الفتن والقلاقل فى ديار العراق والجزيرة أن حدث غلاء فيها أضر أعظم الضرر بالموصل وشهرزور وبغداد وذلك سنة ٧٨٣هـ (- ١٣٨١م) ومات خلق كثير .

وفى سنة ٧٨٤هـ (١٣٨٢م - ١٣٨٣م) نهض أخ آخر للسلطان أحمد واسمه الأمير بايزيد فسانده عادل آغا والشيخ على ليقوموا معاً قومة واحدة . على أحمد

ويعد أن ناجزوه القتال أشد المناجزة انكسر أحمد فذهب للحال إلى قره محمد التركمانى والد قره يوسف واستنجده على أعدائه فانجده وانجلت الموقعة عن قتل الشيخ على وادبار جيش عادل آغا المخذول وبعد ذلك عقدت هدنة طلب فى أثنائها البغداديون إلى عادل آغا أن يبعث إليهم حاكماً من قبله فعين لهم طرسون ابن أخيه من أمه أى ابن شقيقه وأقام له وزيراً وعضداً «قوام الدين النجفى».

وأول شى هم به طرسون كان ذبح عبد الملك الطمنجى وكل من وضع يده وخضبها بدم الأمير إسماعيل ولما تم الأمر وقع اضطراب فى أعظم المدينة وكثرت الفتن وعظمت النوائر ونهبت الخزانة التى كان قد أجمع ما فيها لحساب عادل آغا فلما سمع بهذه البلايل السلطان أحمد وكان يومئذ فى تبريز غادرها للحال وأسرع فى رحفه على أهل الفساد ليخلص من يديهم عين بلاده ومملكته أى بغداد ولما قرب منها وسمع طرسون بقدمومه حاول الفرار لكن السلطان أحمد أقتص أثره فدهمه واحتز رأسه فخلأ الجو للسلطان أحمد الجلائرى وصفت له سماء سيدة البلاد فقضى فيها الشتاء ثم برحها فى الربيع متوجهاً إلى تبريز وقد لقى فيها نزلة حكم الخواجا يحيى السمنانى (سنة ٧٨٥هـ - ١٣٨٣م) وفى هذه السنة ذهبت ذهاب الهباء مثور سلطة الشاه منصور بن محمد القوينلى وكانت سلطة اسمية وهمية كما سبقنا فالمعنا إليها وقد ابتدأت كما قلنا فى السنة ٧٧٨هـ ودامت إلى هذه السنة أى ٧٨٥هـ ورسخت قدم أحمد الجلائرى أتم الرسوخ وعرف بكونه صاحب دار الخلافة الحقيقى لا الوهمى.

على أن عادل آغا عدل عن الخضوع لمن أقر له بالطاعة ولم يستصوب بقاءه تحت تلك الضربة التى أضرت بسمعته فتشاور مع «الشاه شجاع خان» وكان صاحب شيراز وتآمر معه على الإيقاع بمنائوه ثم أخذ بالزحف عليه إلا أن «الشاه شجاع خان» أوفد رسلاً إلى السلطان أحمد وعهد إليهم أن يسعوا فى إصلاح ذات البين بالتى هى أحسن فقر الراى على الاتفاق والتحاب فاستقدم حينئذ السلطان أحمد إلى بغداد أخاه بياريد وأقامه فيها بكل أبهة وجلال.

وفى سنة ٧٩٥هـ (١٣٩٢م - ١٣٩٣م) كان فتح بغداد للمرة الأولى على يد تيمور لنك ولم يكن فى طاقة السلطان أحمد أن يناجزه فولى هارباً مع الفى رامح إلا أن قواد للفاتح اقتصوا أثره فظفروا به فى سهل كربلاء والتحم القتال وتطايرت النبال وتذابحت الرجال وتوصل السلطان إلى الهرب من أولئك الأسود ونحى بسلطان مصر برقوق إلى أن تستجم قواه.

ولما كانت سنة ٧٩٧هـ (١٣٩٤م) استنفر جيشاً عرمرماً ورجع إلى بغداد وكان عليها يومئذ من قبل تيمور لك الأمير مسعود السبزوارى فلم يستطع هذا أن يناوئه لا سيما لأن صاحبه كان بعيداً عنه إذ كان قد غادر بلاد الكرج وذهب إلى قفجق.

وكان السلطان أحمد قد عرف أن جماعه من وجهاء المدينة قد اتفقوا على أن لا يدعوا لسلطنة ويفرغوا كنفه وسعهم ليولوه الأديار فاحتالى فى القبض عليهم وقتلهم الواحد تلو الأخر وكان أهل بغداد يكرهون السلطان أحمد كل الكراهية من كبيرهم إلى صغيرهم ومن غنيهم إلى فقيرهم لأنه كان ظالماً عسوماً جابراً فتاكاً سفاحاً وكان يوذ أغليهم تسلط الفتر عليهم وكان أحمد يرى ذلك ولهذا أوجس فى نفسه خيفةً منهم فذهب إلى ديار بكر عند الأمير التركمانى قره يوسف وعقد معه عرى عهد مكين لا يقصم ويفضل هذا العهد ثبتت قدمه فى حضرته كل الثبوت.

ولما وقف تيمور على طلع هذه الأمور أحتد غضباً إلا أنه لما كان مهتماً بفتح بلاد الهند وبما وقع له من المشاكل المعضلة مع بيازيد سلطان آل عثمان التزم أن يؤخر ثاره ليكون أشد هولاً وأعظم وقعاً فى النفوس.

على أنه يحسن بنا هنا قبل الأمعان فى الموضوع وقائع الأمور أن نذكر منشأ تيمور وكيفية امتداد سطوته بوجه الاختصار ليكون الواقف على ما يتلو من الأخبار عارفاً حق المعرفة من هو هذا الرجل؟ وما هى مكانته من التاريخ؟.

### ذكر منشأ تيمور وحدائته وامتداد سطوته وفتوحه للبلاد

قال صاحب أخبار الدول ما هذا إيراد نصه «تيمور هو أحد الدجالين الموعودين فى الأخبار النبوية أن يخرج على جميع البلاد الإسلامية، وذكر صاحب المنتخب له نسباً يتصل به إلى جنكيزخان من جهة النساء وكان رجلاً ذا قامة شاهقة كأنه من بقايا العمالقة عظيم الجبهة والرأس شديد القوة والبأس أبيض اللون مشرباً بحمرة عظيم الأطراف عريض الأكتاف مستكمل البنية مسترسل اللحية أعرج ليمناوين وعيناه كشمعتين جهير الصوت لايهاب الموت وكان من ابهته وعظمته أن ملوك الأطراف وسلاطين الأكتاف مع استقلالهم بالخطبة والسكة كانوا إذا قاموا عليه وتوجهوا بالهدايا والتقاديم إليه يجلسون على أعتاب العبودية والخدمة نحواً من مد البصر من سرادقاته وإذا أراد منهم واحداً أرسل من الخدمة نحوه قاصداً فينادى ذلك الواحد باسمه فينهض فى الحال ويعدو نحوه وكان بدأ أمره وخروجه فى حدود الستين وسبعمائة وهو من قرية تسمى خواجه بلغار من أعمال الكش وهى مدينة من مدائن ما وراء النهر عن سمرقند نحو من ثلاثة عشر شهراً ذكر أنه لما ولد سقط على الأرض ذلك السقيط كان كفاء مماؤتين من الدم العبيط، فقال بعضهم يكون شرطياً وقال بعض ينشأ لصاً حرامياً وقال قوم يكون قصاباً سفاكاً، وقال آخرون بل يصير جلابداً ابتاكاً، وكان أبوه رجلاً فقيراً اسكافاً وهو نشأ شاباً جلابداً لكنه من القلة كان يتحرم ففى بعض الليالى

سرق غنمةً واحتملها فشعر به الراعى فضربه بسهمين اصاب بأحدهما فخذة فاختلها وبالأخرى كتفه فابطلها فازداد كسراً على فقره ولؤماً على شره ولم يملك سوى ثوب قطن فباعه واشترى بثمانه رأس ماعز وقصد الشيخ شمس الدين الفاخورى فى مدينة كشن وقد ربط بطرف جبل عنق الماعز وريقط عنه بالطرف الآخر وجعل يتشطح على عصا من جريد حتى دخل كما يدخل على الشيخ المريد فصادفه هو والفقراء مشغولين بالذكر ومستغرقين فيما هم فيه من الوجد والفكر فلا زال قائماً فى صف النعال حتى أفاقوا من حالهم وسكتوا عن قالهم فلما وقع نظر الشيخ عليه سارع إلى تقبيل يديه وانكب على رجله فتفكر الشيخ ساعة ثم دفع راسه إلى الجماعة وقال كان هذا الرجل بذل عرشه وعروضه واستمدنا فى طلب مالا يساوى عند الله جناح بعوضه فنرى أن نمده ولا نحرمه ولا نرده فاردوه بالدعاء اسعافاً لما طلبه فاشبهت قصته قصة ثعلبة وزجع من عند الشيخ وخرج وعرج بعدما عرج إلى ما عرج ولما فد خراسان اجتمع مع الشيخ زين الدين أبى بكر الحوافى وانكب على رجله فوضع الشيخ على ظهره يديه فقال تيمور لو أن الشيخ رفع يديه عن ظهري بسرعة لخلعته ارتض وقد تصورت أن السماء قد وقعت على الأرض وأنا بينهما رضضت أشد رض ثم أنه جلس بين يديه، وقال يا مولانا الشيخ لم تأمرون ملوككم بالعدل والأنصاف وان لا يميلوا إلى الجور والاعتساف فقال له الشيخ: أمرناهم بذلك فلم يأتمروا فسلطناك عليهم فخرج من فورهم من عند الشيخ وقد قامت منه الحدبة وهو قائل ملكت الدنيا ورب الكعبة فانه كان يقول جميع مانلته بدعوة الشيخ شمس الدين الفاخورى وهمة الشيخ زين الدين الحوافى والسيد محمد بركة وكان من أمره أنه هو ورفقاؤه كانوا يتحرمون فى بلاد ماوراء النهر حتى شعر بهم السلطان حسين حاكم هراة فظفر به فبعد ضربه أمر بصلبه وكان للسلطان ولد رأى غير متين يدعى الملك نياث الدين فشفع فيه واستوبه من أبيه فقال له أبوه هذا جفتاى حرامى مادة الفساد لئن أبقى ليهلكن البلاد والعباد فقال له ابنه وما عسى أن يصدر من نصف أمى وقد أصيب بالدواهى ورمى فوهبه أياه فوكل به ن داواه إلى أن اندمل

جرحه ويرى قرحة فكان في خدمته ففر به وزوجه شقيقته ثم أنه غاضها في الأيام فقتلها ثم لم يسعه إلا الخروج والعصيان والتمرد والطغيان إلى أن كان من أمره بعض ما كان حتى استعفى ممالك ماوراء النهر وذلك لأوامره جوامع الدهر شرع في استخلاص البلاد واسترقاق العباد فكان يجري في جسد العالم مجرى الشيطان من بنى آدم ويدب في البلاد ديب السم في الأجساد ومن رآه أنه صاهر المغل وصافاهم وهادهم وهاداهم وتزوج بنت ملكهم قمر الدين خان فأمّن شرهم وكفى ضرهم ثم أرسل إلى مخصومه سلطان هراة الملك غياث الدين الذي كان مغيبه عملاً بقوله كتب الله على كل نفس خيبة أن لا تخرج من الدنيا حتى تسيء إلى من أحسن إليها، وطلب منه الدخول في طاعته فأرسل غياث الدين يقول صحبة الرسول أما كنت خادماً لى وأحسنت إليك واسبلت ذيل نعمتى عليك وذلك بعد أن نجيتك من الضرب والصلب فإن لم تكن إنساناً يعرف الإحسان فكن كالكلب فعبر جيحون وتوجه إليه فلم يكن لغياث الدين قوة إلى الوقوف بين يديه فحصن نفسه فى القلعة فحسب، أن يكون له بذلك منه فأمّنه وقبض عليه واحتاط على ملك يديه وكان حلف أن لا يريق له دماً ولكن قتله فى الحبس جوعاً وظماً ثم عاد إلى خراسان ونوى الانتقام من أهل سجستان فوضع السيف فيهم وأفناهم عن بكرة أبيهم ثم خرب المدينة فلم يبق بها شجر ولا مدر ولا عين ولا أثر ورحل عنها وليس بها داع ولا مجيب وما فعل ذلك بهم إلا لأنه أصيب منهم أولاً. ذكر الشيخ عبد اللطيف الكرمانى أن الذين تخلصوا من القتل من أهل سجستان هزيمة لم تراجعوا إليها بعد رجوع تيمور عنها أرادوا أن يجمعوا بها فاضلوا يوم الجمعة وما اهدتوا إليه حتى أرسلوا إلى كرمان من دلهم عليه ولما خلاص له جميع ممالك العجم ودامت له ملوكهم والأمم بلغه أن فيروز شاه سلطان الهند أنتقل إلى رحمة الله ولم يكن له ولد خليفة فعسى أن يتولى تلك الوظيفة فوصل إليها وقتل أقبالها وتسلم أقبالها وقد وفد عليه المبشر بأن أحمد حاكم سيواس والملك الظاهر برقوق حاكم مصر والشام أنتقلا إلى دار السلام فسر بذلك صدره والشرح وكاد أن يطير نحوهما من الفرح فأقام فى الهند

نائباً. وتوجه نحو مدينة سيواس وكان بعد وفاة واليها استولى عليها الأمير سليمان بن السلطان بايزيد بيلديرم خان ابن مراد خان بن عثمان خان فوصل إليها تيمور بتلك السيول الهامية فقال أنا فاتح هذه المدينة والقلعة فى ثمانية عشر يوماً وكانوا قد حصنوا المدينة والقلعة فأقام فى محاصرتها وفتحها فى اليوم الثامن عشر وذلك بعد أن حلف لأهل البلدان لا يريق دمهم وأنه يرضى ذمهم ويحفظ حرمتهم وحریمهم فلما دخل المدينة ربطهم فى الرباق سرباً وحفر لهم فى الأرض سرباً والقاهم أحياء فى تلك الأخاديد وعدد من القى فى تلك الحفر كان ثلاثة آلاف نفر ثم أطلق النهب للنهاب واتبع الأسر والخراب وانمحت مراسم نقوشها فهى خاوية على عروشها ولما استوفى سيواس حصداً ورعيماً فوق سهام الانتقام إلى نحو الممالك الشامية كالجرد المنتشر فوصل إليها وختل وقتل وفعل فعلته التى فعل وقد ذكر تفصيله فى ذكر فرج بن برقوق ولم يتعد منهم أحد جسر يعقوبا فرجع إلى طريقته العوجاء حتى وصل إلى الموصل وهو يحو آثار الإسلام ثم توجه إلى مدينة بغداد فلما سمع السلطان أحمد ذلك استتاب مكانه نائباً ولحق هو إلى السلطان الروم بايزيد خان فأخذها عنوة يوم عيد الأضحى فتقرب على زعمه بأن جعل المسلمين قرابين ثم أمر عسكريه بأن يأتیه كل واحد من أهل بغداد برأسين ثم أتوا بهم وطرحوا ايدانهم فى تلك الميادين وجمع رؤسهم فبنا بها مأذن وعجز بعض الجند عن رؤس الرجال فقطع رؤس النساء والأطفال ثم أن تيمور خرب المدينة بعد أن أخذ ما به من الأموال والخزينة وأبقاها يعيش البوم والغراب فى أماكنهم فاصبحوا لا ترى إلا مساكنهم ثم الوى بتلك الأتراك ناحية قراباغ ونوى السير نحو ممالك الروم فراسل سلطانها بايزيد المجاهد الغازى وجعل السلطان أحمد حاكم بغداد وقره يوسف حاكم أذربيجان سبباً وذكر أنهما من سطرات سيوفه هرباً فتوجه نحوه فكان لا يدخل قرية إلا أفسدها ولا ينزل على مدينة إلا محاها وبددها فلما بلغ السلطان بايزيد بمجىء ذلك العنيد توجه إلى ملاقاته فاجتمع العسكريان على نحو ميل من مدينة أنقرة واشتغل الحرب بين الفريقين من الضحى إلى العصر فألت إلى اسر ابن عثمان وكان من أمره ما كان

وقتل غالب عسكره من العطش لأنه كان ثامن عشر تموز وكان نهار الأربعاء  
سابع عشر ذى الحجة سنة أربع وثمانمائة ولما حصل لراس مملكة الروم هذه  
الروعكة واندعكت أجسام عساكره أقوى دعة ووقع السلطان فى مخالبه وعلم أنه  
غير ناج من معاطبه، قال لتيemor لنك إليك ثلاث نصائح هن لخير الدنيا والآخرة  
لوائح أولاهن أن لا تقتل رجال الأروام فأنهم رده الإسلام وأنت أولى بنصرة  
الدين لأنك تزعم أنك من المسلمين. ثانيهن أن لاتترك التار بهذه الديار ولا تذر  
على أرض الروم منهم دياراً فأنك أن تذرهم يملأها من قبائلهم ناراً وهم على  
المسلمين أضر من النصارى ثالثهن: أن لا تمدد يدك فى التخريب فى قلاع  
المسلمين وحصونهم ولا تجلهم عن مواطن حركتهم وسكونهم فأنها معاقل الدين  
وملجأ الغزاة المجاهدين وهذه أمانة حملتكها وولاية قلدتكها فقبلها منه بأحسن  
قبول وحمل هذه الأمانة ذلك الجهول ولما صفا لتيemor شرب ممالك الروم من  
الكدر وقضى جيشه من الغارة الوطر اندرج إلى رحمة ربه السلطان بايزيد وكان  
معه مكبلاً فى قفص من حديد وبعدهما سبكوا الأشباح وسلبوا الأرواح ولم  
يخلص من شرهم من رعايا الروم إلا الثلث أو الربع بعد أن جعل أهلها بين  
المحترقة والمختنقة والموقودة والنطيحة وما أكل السبع قرر كل أمير من أمراء الروم  
على ولايته وزاد فى رعايته وأمرهم بان يخطبوا له وأن يضربوا السكه باسمه  
فامتثلوا وأمره واجتنبوا زواجه ثم أن تيمور رجع إلى بلاده وقد بلغ من دنياه  
المرام وانتهى أمله إلى الكمال والتمام ووصل إلى مدينة تراو وضعف وانقطع  
ثلاث ليال وعلم أجمال الأنتقال إلى دار الخزى واشكال وأبى الله أن يخرج تلك  
الروح النجسة إلا على صفات ما اخترعه من الظلم واسسه فجعل يتناول من  
عرق الخمر حتى فتنت كبده ولم ينفعه ماله وولده وصار يتقياً دماً ويأكل يديه  
حسرة وندماً فانقل إلى لعنة الله وعقابه واستقر فى اليم رجزه وعذابه وذلك فى  
ليلة الأربعاء سابع عشر شعبان سنة سبع وثمانمائة بناوحى مدينة تراو وحملوا  
عظامه إلى سمرقند وعمره قد جاوا الثمانين، ومدة ملكه واستيلائه مستقلاً ست  
وثلاثون سنة وذلك خارج عن مدة خروجه . تمزته رفع الله تعالى برحمته عن  
البلاد والعباد العذاب المهين وقطع دابروا القوم الذين ظلموا والحمد لله رب  
العالمين. أه كلام القرمانى بحزفه.

obeikandi.com

في منكرات تيمور في بغداد خاصة

### فى منكرات تيمور فى بغداد خاصة

فى سنة ٨٠٣هـ (١٤٠٠م) عاد تيمور من رحفته على ديار الشام وتوجه نحو بغداد وكان السلطان أحمد قد أبقى فى المدينة الأمير فرجاً وعهد إليه دفع المهاجمين وذهب هو إلى قره يوسف فى الموصل واتفق الاثنان على أن يكونا تحت جناح سلطان آل عثمان لأنه هو وحده كان قادراً على أن يناوئ ذلك الفاتح الظافر ومن كان فى أثره من البشر الشبيه بالهامر .

فشرع فرج بالمهمة التى اودعت إلى عهده وأخذ يدافع عن البلد دفاع البطل الصنديد إلا أن تيمور الذى كان قد بعث بادئ بدء بعضاً من أمراء جيشه استصوب الذهاب هو بنفسه إلى المعسكر وكان أصحابه قد حاصروا المدينة من الجهة الجنوبية والقوا جسراً من القوارب على دجلة فذهب جند التتار وعسكر على طريق آلتون كبرى بازاء قرية العقاب . ولما التحم القتال دام أربعين يوماً حوالى العاصمة وأظهر البغداديون من الشجاعة والبسالة والمهارة فى المقاتلة والدفاع ما يعز وروود مثله فى التاريخ فعلم التتار أن البغداديين بل وجميع العراقيين ليسوا كسائر خلق الله أنهم إذا أرادوا شيئاً يبذلون فى سبيله كل علق نفيس بل النفس ذاتها .

إلا أن هذا الحصار الطويل سبب القحط والغلاء فالتزم أهل المدينة أن يأتوا ما تلجئ إليه الضرورة أى أنهم اندفعوا إلى القنوط واليأس ثم إلى الفرار وترك الأخوه المرتبطين برباط حب الوطن .

فلما نشأ فى أهل المدينة روح التخاذل والأثرة وقد تم ذلك نهار الأحد ٢٧ من ذى القعدة سنة ٨٠٣هـ (الموافق لليوم ١٠ من شهر تموز سنة ١٤٠١م) وكان حماة الأسوار قد غادروها لشدة حر الهاجرة تسلى جيش تيمور أسوار القلاع بسلاسل وأول من وصل إلى رؤوسها كان أمير زاده خليل سلطان والشيخ نور الدين ورستم طغا ولما لم يستطع أن يفعل أكثر مما فعل ركب هو وأهله سفناً وانحدر بها إلى البصرة إلا أن الأعداء تأثروه وأغرقوه هو وأهله وسفنهم وقيل أخذ وقتل.

ولما دخل تيمور المدينة أمر بذبح أهلها ذبحاً عاماً فأخربت المساجد والجوامع وهدمت المدارس التى يرتقى عهداها إلى العباسيين والسلطين الأولين الذين جاؤوا بعد الخلفاء قال صاحب كتاب عمدة البيان فى تصارىف الزمان: قتل فيها (أى تيمور فى بغداد) تسعين ألف مسلم. وقال صاحب منتجع المرتاد فى تاريخ بغداد «وكانت واقعة (بغداد هائلة) اندكت لها الأرض وعملوا فيها السيف فقتلوا فيها الأولاد والنساء والرجال وخربوا حصونها وهدموا بروجها واتلفوا كل مما فيها من الحسن فجرى ما جرى إذذاك وسالت الدماء كالماء فى شوارعها الليحاء قيل وأقاموا فيها هراً عليه تسعون ألف رأس من القتلى».

وبعد أن خمدت هذه الشدة وخبت حدث نائرتها كتب تيمور إلى يياريد ليسلمه عدويه السلطان أحمد وقره يوسف فلم يجب طلبه فاشتعل غيظاً واندفع راحفاً على بلاد الروم (آسيا الصغرى) فانكسر يياريد فى أنقرة كسرة لانهوض وراؤها.

ولما عاد تيمور ادراجه عهد إلى حفيده ميرزا أبى بكر بن ميران شاه ولاية بغداد وضم إليه البصرة والجزائر جزائر شط العرب (والمراد بالجزائر جماعة الجزر التى كانت تنشأ من تجمع سواعد الشط بين جوارر وهى اليوم القرنة) وبين الجماسية بقرب واسط وبعد أن مضى ربح من الزمن حاول قره يوسف أن يناجز جيوش التتار على نهر العلقمى بجوارر الحلة إلا أنه لم يفز بطائل فان أبا بكر دحره عن تلك الديار فأصبح سيد العراق وحده لا يشاطره فيه مشاطر.

وبعد معركة أنقرة رجع السلطان أحمد الجلايرى وقره يوسف إلى البلاد الراجعة إلى سلطان ديار مصر وكان يومئذ الملك الناصر فرج وأمر حاكم دمشق الشام أن يقبض على الهاريين وبحسبهما فى قلعة المدينة ففعل وذلك فى شهر جمادى الآخرة سنة ٨٠٦هـ (الموافق لشهر كانون الأول سنة ١٤٠٣م وكانون الثانى سنة ١٤٠٤م) بقيا فيها إلى وفاة تيمور التى كانت فى السنة التالية.

(قلنا: رواية الأميرين الهاريين فى ديار الشام أثبت من رواية ذهابهما إلى ديار مصر. والذي يرمى هذا الراى الأخيرهم مؤرخوا الفرس فلا تلتفت إلى قولهم).

فلما علم السلطان أحمد بوفاة تيمور فر هارياً من الشام فى الليلة التى سبقت نهار الأحد ١٨ من ذى الحجة سنة ٨٠٧هـ (١٤ حزيران ١٤٠٥م) وكان قد أطلق من السجن مع رفيقه قره يوسف فى وقت واحد فى شهر شوال من تلك السنة (شهر نيسان ولما بلغ الحلة اختبأ فيها مدة ثم استنفر زعاماً واو باشاً وأخذ يقطع الطرق. وما سمع أهل بغداد بقدم هذا السلطان إلا وارتجوا لهذا الخبر ارتجاجاً حتى أن حاكم المدينة وكان «دولة خواجا عناق» لم يستطيع أن يردع الناس عنه فاجبر على أن يختلى فى محل من معسكر ميرزا عمر وهو حفيد آخر من أحفاد تيمور وما مضى أسبوع بعد ذلك إلا والسلطان أحمد قد دخل بغداد وأخذها من جديد.

وأول ما قام به السلطان أحمد وبذله من الأهتمام كان إعادة بناء اسوار المدينة حفظاً على سكانها وتأميناً للمدينة لأن أهلها كانوا قد قلوا لكثرة ما نابهم من النوائب وفى أواخر سنة ٨٠٨هـ (حزيران ١٤٠٦) زحف على تبريز ومعه الجيش لهام كانه الركام وكله من أهل الفتن والفساد وضم إليه جنداً من الأويرات (الألوتة) وطوائف من التركمان. وكان الأمير الشيخ إبراهيم الشروانى رئيساً لهذا الجمع الغفير فسلم قيادته إليه بكل سرور وسهولة. فلما رأى التبريزيون أميرهم السابق كادوا يطربون فرحاً. أما السلطان أحمد فأخذ بالملاهى وعقد مجالس الأتس والطرب حتى قدم فجأة ميرزا أبو بكر حفيد تيمور واتفق فى

الوقت عينه وفود الطاعون فلم يصعب على السلطان أحمد فتح المدينة إذ فر أغلب سكانها. ثم أخذ يناجز قره يوسف فلم يتوفق في معركته ولم تفده فتوحاته شيئاً بل مرت أمر الرياح السوافى مع جميع الولايات المجاورة لها ووقعت كلها. بيد مؤسس دولة التركمان المعروفة «بدولة قره قويولى» أو دولة الخروف الأسود.

تكلمنا عن بناء أسوار بغداد فيحسن بنا أن نقول أن ميرخند يقول ما ملخصه:  
أن الأسوار التي خططها السلطان أحمد كانت أضيق نطاقاً من الأسوار القديمة. وقد بذل كل جهده ليحصن الأسوار ويحفر لها الخنادق. فى بحر سنة ٨١٠هـ (١٤٠٧هـ - ١٤٠٨هـ) على مارواه صاحب كتاب مطلع السعدين ويقال أنه فى أثناء حفره للخندق وجد الكنز الدفين العظيم الذى كان قد اودعه الأرض قبل واقعة تيمور ولم يؤخذ منه شىء البتة. وهذا ما أمكنه من تحصين عاصمته فى قليل من الزمن صدأ للعدو ودفاعاً عن رعيته (عن خندمير وهمر والمقريزى وهوار وغيرهم).

### فى أواخر دولة الأيلخانيين وانقراضها

فى شتوة سنة ٨١١هـ (أواخر سنة ١٤٠٨م) أحد طامحى البصر إلى سرير المملكة وجميع المتحزبين له وحاول أخذ العاصمة بينما كان السلطان أحمد يجد عبثاً فى حصار السلطانية وكان أسم الرجل هذا أويس وكان يدعى أنه ابن أحمد ولعل لهذا المدعى بعض الحقيقة لأن أهل الحكومة سعوا فى قطع لسانه بالألطف والأصفر الرنان فسكت هذا فضلاً عن أن السلطان عاد حالاً إلى بغداد لما سمع بهذه الأخبار المقلقة وقتل كل من كان متحزياً للمدعى بالعرش فاسكت نامتهم.

وفى سنة ٨١٢هـ (١٤٠٩م) توفى الشاعر نصر الله البغدادى.

وفى سنة ٨١٣هـ وقع تنافر بين قره يوسف والسلطان أحمد. فاراد هذا أن ينتهز الفرصة لىوسع مملكته بتضيق نطاق أرض متاونه فزحف على تبريز لياخذها منه فدخلها بدون صعوبة إلا أنه اضطر إلى أن يحارب حرباً عواناً سكان رىض شنب غازان (فى ٢٨ ربيع الثانى ٨١٣هـ - ٢٩ آب ١٤١٠م) فكسروه وجرح جرحاً عظيماً فى هزيمته ثم أخذ ودفع إلى غالبه الذى استحصل منه عهداً يتنازل فيه عن مملكته لأبنه شاه محمد.

أما قره يوسف فرضى فى الآخر بختق السلطان محمد من بعد أن الح عليه حاشيته فى إجابة طلبهم. وعلى هذا الوجه قضى نجه هذا السلطان المقحام وله من علو المقام بين أهل الغناء وعلم الأنغام. وأهل الشعر والنظم والرياضيات

والهندسة ما يزرى بنمط العيوق. إلا أن الذى كرهه فى أعين الخاص والعام ظلّمه وجوره وحبّه لسفك الدماء.

وبموته عنت آثار سطوة الإيلخانيين لا آثار سلالتهم كما ظنه أغلب المؤرخين لأنه بعد موت هذا السلطان كان قد بقى ثلاثة أولادهم أبناء لأبناء أخته وهم محمود ومحمد وأويس. وعاشوا فى بغداد مقدار سنة ونصف تحت رعاية الأميرة «تندو أو تندى سلطنة» أخت السلطان أحمد. ثم أن شاه محمد ذهب ليحتل المدينة عملاً بالعهد الذى قبل به السلطان المقتول فغادر أردبيل وجاء وضرب خيام عسكره بازاء باب «سوق السلطان».

ومما ساعد فى نجاح تركمان دولة قره قوينلى أن أصحاب الأمير بخشائش وهو الذى قام بوظيفة رئيس شحنة وحاكم فى أيام السلطان أحمد نهضوا نهضة واحدة على عبد الرحيم الملاح وكان يحكم باسم محمود كبير الأخوة الثلاثة ذبحوه ذبحاً لا رحمة فيه. فأصبحت المدينة فى كبس واضطراب وارتباك لا يوصف. فهرب الأخوة الثلاثة مع «تندا سلطنة» إلى ششتر فكان لهم هناك نوع من السلطنة لكونهم من أتباع شاه رخ.

ولما صفا الجو لشاه محمد تملك على بغداد ودانة له الرقاب وأخضع تحت أمره قلعة هيت المنيرة الشامخة وطائفة من بلاد كردستان ومن هذه البلاد كلها نشأت المملكة الجديدة مملكة تركمان قره قوينلى وأق قوينلى.

(لخصنا هذا الفصل حوار فى كتابه تاريخ بغداد فى الأزمنة الحديثة وعن الملا ياسين فى كتابه عمدة البيان).